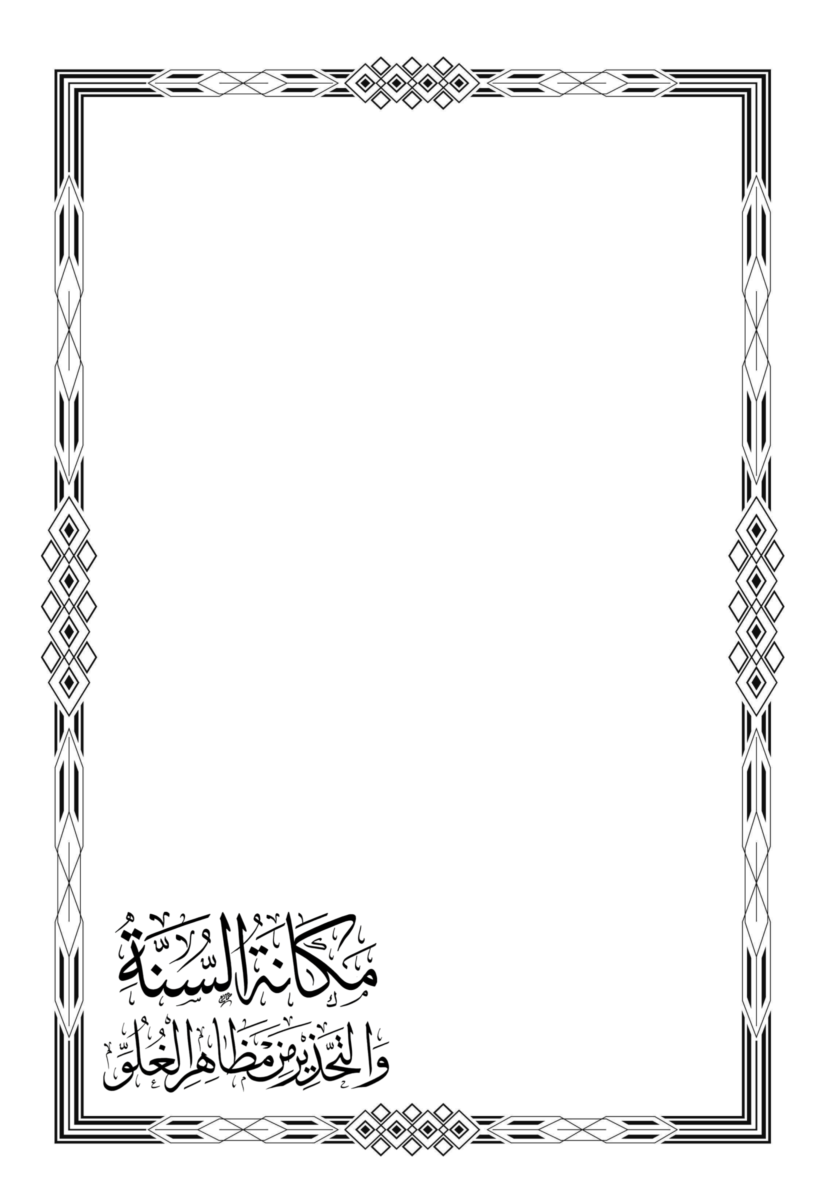
المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق



فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


مكانة السنة
والتحذير من مظاهر الغلو



الطبعة الأولى
١٤٣٣ ـ ٢٠١٢

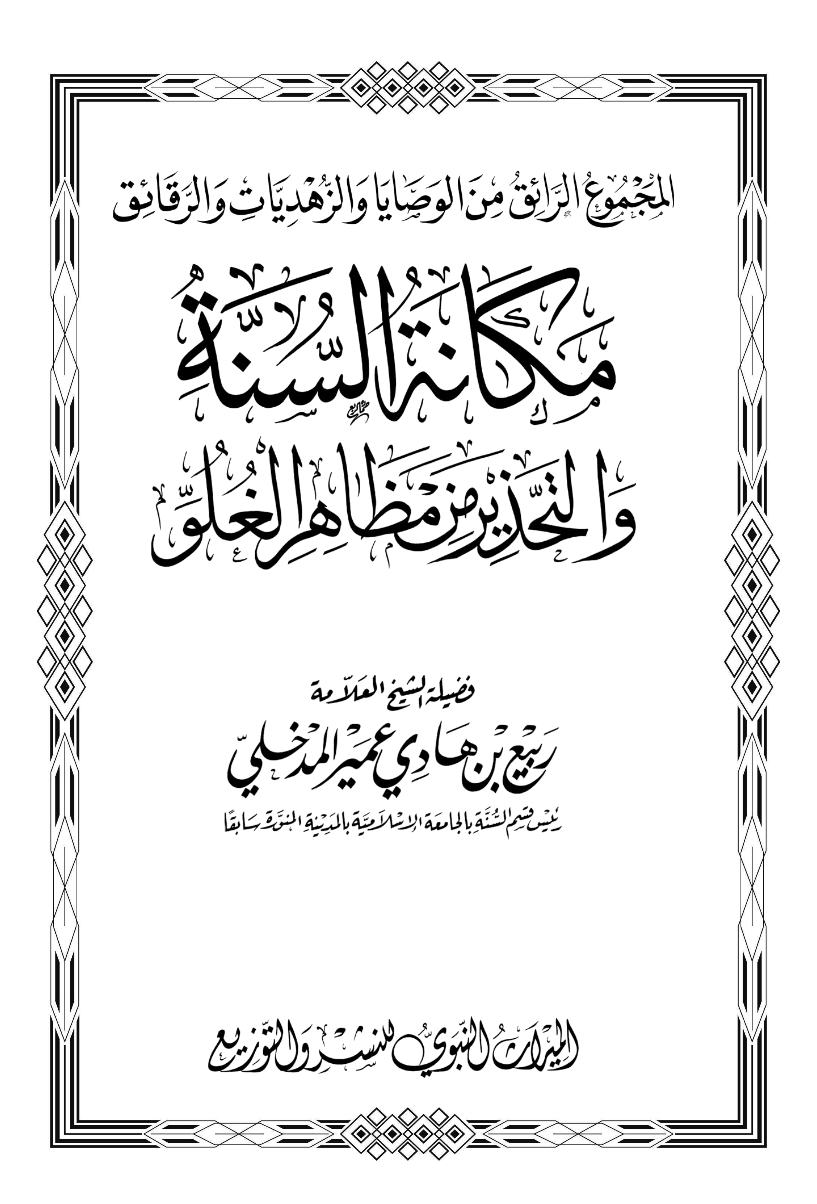
طبع بإذن خطي من المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى — في النص والعلماء هم وراثه
ما خلَّف المختار غير حديثه — فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 111- 2012
ردمك: 978-9947-987-76-6

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة
الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)
الفاكس : 21966847 (00213)
البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com



المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق
مكانة السنة
والتحذير من مظاهر الغلو
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا
الميراث النبوي للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أما بعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع لصاحبها أبي معاذ سيدعلي لخضر بن عمر سحالي إذنا حصريا بطباعة الكتب التالية وتوزيعها عالميا :

نفحات الهدىٰ والإيمان من مجالس القرآن

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

٢/٢/١٤٢٢هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

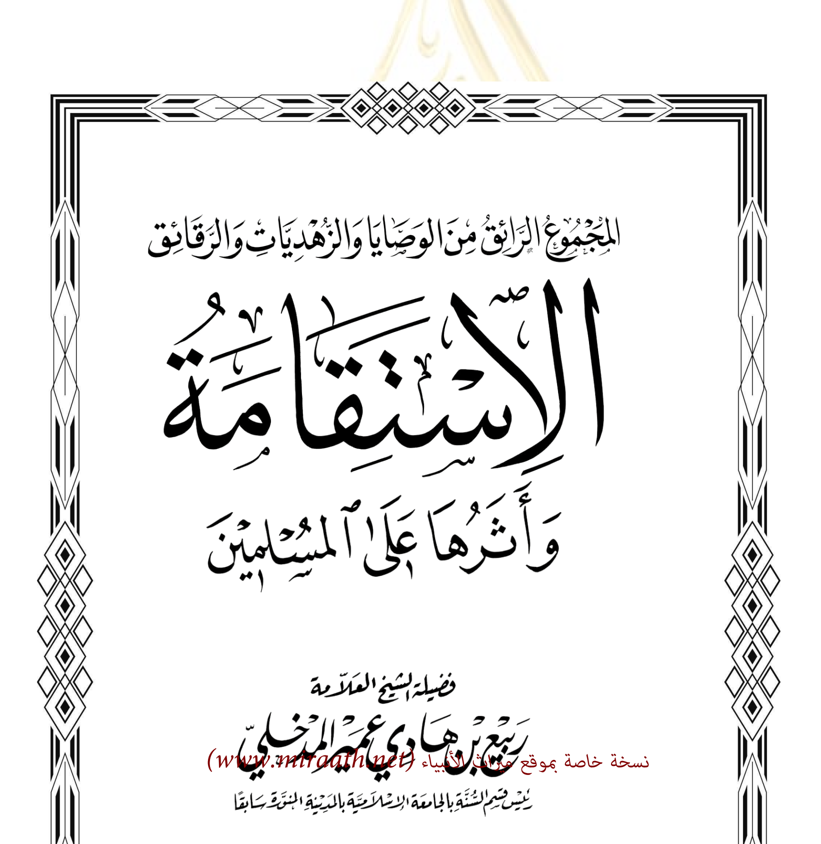
الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ



المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

الاستقامة وأثرها على المسلمين

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا

لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعدُ:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، أما بعد:

الاعتدال في العبادة على هدي الرسول ﷺ:

فقد طلب إليَّ بعضُ أبنائنا من طُلَّاب العلم أن أتحدَّث حول موضوع مهم، ألا وهو السُنَّة بين الغلوِّ والتقصير، وأنا أعتقد أنَّ الغلو في السُنَّة لم يبق الآن، الآن يوجد التقصير، كان في السَّابق وربَّما إلىٰ عهدٍ قريب النَّاس يحبُّون السُنَّة ويبالغون في العبادة، وربَّما يقوم أحدهم اللَّيل ويصوم النَّهار، ولكن هذا الأمر وهذا الحماس الملتهب لحُبِّ العبادة وهذه الشُّعلة أظنها خَبَتْ، أو تكاد تخبو وتنطفئ؛ لأنني في هذه الأعصار

لا أعرف ناسًا عندهم هذا الحماس وهذا الاندفاع للعبادة؛ لأنَّ الترف وحُبَّ الدنيا والاسترخاء موجَتُه طمَّت علىٰ النَّاس، فما نسمع الآن عن عُبَّاد معتدلين، فضلًا عن ناس مغالين ومبالغين، حصل في عهد الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - شيءٌ من التشدد في العبادة والمبالغة فيها؛ الذي يمكن أن نُسَمِّيَه غلوًّا في العبادة، ولما رأىٰ الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا الاتجاه من بعض أفراد الصحابة لم يتركهم رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يندفعون في هذا المضمار، بل قاوم هذا الاتجاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمرَّةً دخل علىٰ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وإذا امرأةٌ جالسةٌ عندها قال: «**من هذه؟**» قالت: هذه فُلانة، وذكرت من صلاتها يعني مُتَعَبِّدة مجتهدة، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَهْ! عَلَيْكُمْ مِنَ العَمَلِ بِمَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا**

يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»(١)، فأرشد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلىٰ العبادة الفضلىٰ، وزجر أولًا عن الإكثار وتجاوز الحدود في العبادة؛ لأنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رسم الحد المطلوب من العبادة؛ فكان يقوم وينام، ويصوم ويفطر، ويتزوج النِّساء وما يزهد في اللَّحم كما يزهد فيه بعض النَّاس حتىٰ بعضهم قال: لا آكل اللَّحم(٢)، فرسم حدًّا معتدلًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ الذي يتجاوزه يُعتَبر غاليًا ومتجاوزًا للحد المعتدل المطلوب من العبد أن يقوم به؛ لأنَّ علىٰ العبد في هذه الحياة تكاليف وأعباء لابُدَّ أن يقوم بها ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقد ورد فيه رواياتٌ كثيرة؛ قال عبدالله: أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣)، ومسلم برقم (٧٨٥)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢)أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٠١)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ: «**فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْـحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَهْوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ**»(١) وفي رواية أخرىٰ: «**وَكَانَ لَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَىٰ**»(٢)، ثم قال له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(٣).

عبد الله كان عنده نشاط، وكان يختم القرآن في كلِّ ليلة، فقال له الرسول ﷺ «**اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**». قَالَ: قُلْتُ يَا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٧٦)، ومسلم برقم (١١٥٩) (١٨١).

(٢) عند البخاري برقم (١٩٧٧)، ومسلم برقم (١١٥٩) (١٨٥).

(٣) البخاري برقم (١٩٧٥)، ومسلم برقم (١١٥٩) (١٨٢).

نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[(١)]، فندم عبدُ الله حينما كَبُر؛ قال: «يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ بِالرُّخْصَةِ»[(٢)]، يعني: لو أخذ بالثلاثة أَيَّام من كلِّ شهر، ووافق علىٰ أن يختم القرآن في كلِّ شهر مرَّةً؛ لكان ذلك أحبَّ إليه من أهله وماله؛ كما قال في بعض الروايات[(٣)]، لما كبر

---

(١) مسلم برقم (١١٥٩) (١٨٢).

(٢) البخاري برقم (١٩٧٥)، ومسلم برقم (١١٥٩).

(٣) رواية لأحمد (٢/ ٢٠٠)، وفي رواية لابن خزيمة في "صحيحه" برقم (٢١٠٥)، والبزار في "مسنده" برقم (٢٣٤٥).

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ "صحيح ابن خزيمة": صحيح علىٰ شرط البخاري.

وفي رواية لأحمد (٢/ ١٥٨): لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إلي مما عدل به أو عدل، لكني فارقته علىٰ أمر أكره أن أخالفه=

ندم حتىٰ كان يختم القرآن في اللَّيل، وفي النهار يقرأ عليه بعض أهله السُّبُعَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أخفّ عَلَيهِ باللَّيلِ، ويؤدِّي أوراده في اللَّيل(١)، علىٰ كلِّ حالٍ لقد عُرِف أنَّ هدي رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أن يعطي المسلم كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وأن يأخذ من العبادة بالقدر الذي يطيقه، فعبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ندم إذ لم يأخذ بالرخصة، فلما كبر عرف مدىٰ الحاجة إلىٰ الاعتدال في أداء العبادة: في الصيام، وفي الصلاة، وفي قراءة القرآن، ندم علىٰ ذلك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ولكن قد فات الأوان؛ لأنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان قد قال له: «**يا عبدَ الله بنَ عمرو لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، ثم ترك قيام الليل**»(٢)، وقد سمع

= إلىٰ غيره.

(١) في رواية عند البخاري برقم (٥٠٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١١٥٢)، ومسلم برقم (١١٥٩) (١٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أنَّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إلىٰ اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»[1]، فلما التزم فعل هذه العبادات علىٰ الصفة التي وطَّن عليها نفسه وتركه عليها رسول الله ﷺ؛ أن يصوم يومًا ويترك يومًا، ويختم القرآن في كلِّ أسبوع، ويقوم بعض اللَّيل، ويستريح بعضه، رأىٰ أنَّه ليس من الوفاء لله ثم لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يُخلَّ بشيءٍ مما التزمه، ولكنَّه يتندَّم حيث أنَّه لم يأخذ بالرخصة حينما عرضها عليه رسولُ الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول: هذا النوع لا يوجد الآن -والله أعلم-، وإن وُجِد فهو أندر من النَّادر؛ لغلبة حُبِّ الدنيا وحُبِّ الراحة إلىٰ آخر مما هو معروف الآن، ونَلْمَسُه من حياة النَّاس، وربَّما كان عند بعض الشباب شيءٌ من الحماس في اللِّباس ونحوه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٥)، ومسلم برقم (٧٨٣)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وفي تطبيق بعض السُّنَن، ولكن صاحوا عليهم من هنا وهناك حتىٰ انهزموا! فما نرىٰ أيضًا الحماس في تطبيق الأمور السَّهلة من السُنَّة الذي كنا نلمسه قبل أيَّام، فإنَّ الصيحة من هنا وهناك قد جعلتهم ينطوون علىٰ أنفسهم، ويفرُّون من الميدان، وينسحبون عن تطبيق هذه السُّنَن ولو كانت يسيرة!، لأنَّ هذه السُّنَن استثقلها كثيرٌ من النَّاس، ورأوها تشدُّدًا، وسمَّاها تنطُّعًا، وسمَّاها إفراطًا وتطرُّفًا، أرىٰ هذه الظاهرة التي سمَّاها النَّاس إفراطًا وسمَّوها تطرُّفًا أراها بدأت تختفي الآن مع الأسف الشديد، فنحن ندعو إلىٰ تطبيق السُنَّة والتزامها، وعدم الغلوِّ في هذا التطبيق، ندعو إلىٰ هذا، بل هذه دعوة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا هو دين الله عَزَّوَجَلَّ.

مكانة السُنَّة ومنزلتها في الاحتجاج:

نقول: السُنَّة إذا كانت بمعنىٰ المنهج؛ لأنَّ السُنَّة تأتي

بمعنىٰ المنهج مثل قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدَينَ**»(١)، وهذه يراد بها ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ وهي بهذا المعنىٰ يكون ما خالفها من البدع.(٢)

---

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٤/ ١٢٦)، وأبو داود في "السنن" برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في "السنن" برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في "السنن" برقم (٤٤)، وابن حبان في "الصحيح" (١/ ١٧٨/ ٥)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ١٧٤ - ١٧٨)، وأخرجه أبو نعيم في "المسند المستخرج علىٰ صحيح مسلم" (١/ ٣٥/ ١)، وغيرهم، من حديث العِرباض بن سارِيةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: (هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) **قال مطرف بن عبد الله**: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبدالعزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله تعالىٰ، واستكمال لطاعة الله تعالىٰ، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير=

وتأتي السُنَّة التي هي صِنْوُ القرآن وقرينُه، وهي بيانُ القرآن وشرحُه، وهي التي يُعَبِّر عنها الأصوليون المحدِّثون بأنَّها قولُ النبيِّ ﷺ وفعلُه وتقريرُه، فالسُنَّة بمعنىٰ الوحي الذي أوحاه الله إلىٰ الرسول ﷺ، وهي شرحُ القرآن وبيانُه، وهي قولُ النبيِّ ﷺ وفعلُه وتقريرُه؛ فهذه لا شك أنَّ لها مكانةً عظيمةً عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويجب علىٰ الأُمَّة أن يؤمنوا ويُصدِّقوا بكلِّ ما ثبت عن رسول الله ﷺ؛ سواءً جاء عن طريق التواتر أو جاء عن طريق الآحاد، من الطرق الصحيحة الثابتة التي تتسلسل بالرجال الأمناء الضابطين المتقنين من رواة دواوين السنة؛ كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي

= سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.
رواه الآجري في "الشريعة" (ص٤٨، ٦٤ - ٦٥، ٣٠٧)، وابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ" (١/ ٣٥٢)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٣٢٤).

وانظر كلام الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول هذا الأثر في "الاعتصام" (١/ ٨٧).

والنَّسائي وابن ماجه والإمام أحمد إلىٰ آخر دواوين الإسلام، من هؤلاء الأئمَّة إلىٰ رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، تكون متصلةً في الحلقات بهؤلاء الأمناء الثقات الضابطين؛ الذين وهبوا حياتَهم لتدوينها، وحفظها في الصدور، وتسجيلها في السطور، فهذه يجب أن نؤمن بها، وأن نُصدِّقها، وأن نؤمن بأنها صِنْوُ القرآن، وأنَّها وحيٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إذ يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شأن هذا الرسول: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١- ٤]، وكما في حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ حينما كان يكتب عن رسول الله ﷺ كلَّ ما كان يسمعه؛ فأنكر عليه بعض النَّاس من قريشٍ، وقالوا: «إنَّك تكتب عن رسول الله كلَّ شيء وهو بشرٌ يتكلَّم في حال الرضا وفي حال الغضب»، يعني يتصوَّر بعض النَّاس أنَّ الرسول ﷺ إذا غضب قد يخرج عن جادَّة الحق، ويقتضي عليه ما يقتضيه الضعف البشري

من الكلام في حال الغضب بما يكون خطأً وبما يكون باطلًا؛ ربَّما تصوَّر هذا، فقال عبدالله بنُ عمرو: قلت لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إنَّ أناسًا من قريش قالوا: كذا وكذا، قال: «**اُكْتُبْ كُلَّ مَا تَسْمَعُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ هَذَا إِلاَّ حَقٌّ**»[(١)]، وهذا يؤيده هذه الآية من سورة النجم: ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ١ - ٤].

والصحابة كانوا يعرفون قيمة هذه السُنَّة، ويعرفون مكانتَها، ويغضبون إذا عُرِضَت علىٰ شَخْصٍ وتردد في تطبيقها، فهذا عبدُ الله بنُ المُغَفَّل في مجلسٍ من المجالس رأىٰ أحدَ أقاربِه ابنَ أخيه يَخْذِف؛ يأخذ حصىٰ فيخذفها، فقال: إنَّ رسولَ الله ينهىٰ عن الخَذْف، وقال: «**إِنَّه لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ،**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٦/ ٢٢٩) وأبو داود (٣٦٤٦) والحاكم في "المستدرك" (١/ ١٠٤ - ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.

وَلَكِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِنَّ»، فإذا به يعود يخذف، فقال له: أقول لك نهىٰ رسول الله عن الخذف وتخذف! واللهِ لا أكلِّمك[(١)] الآن كثيرٌ من طلاَّب العلم تقول له: قال الله، قال رسول الله؛ فلا يرفع بذلك رأسًا مع الأسف الشديد! كان الصحابة يعرفون قيمة الحديث، يكون الصحابي سمع الحديث من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم أراد أن يضبطه ضبطًا صحيحًا كما سمعه من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيفكر يذكر من شارك في سماع هذا الحديث، فيتذكر أنَّ له صديقًا في الشام أو في مصر قد شاركه في هذا الحديث، فيشتري البعير ويشدُّ الرِّحال في شدَّة الحر والظمأ، ويذهب يسافر يضرب أكباد الإبل مسافةَ شهرٍ أو أكثر، ويأتي إلىٰ هذا الشخص الذي يعتقد أنَّه شاركه في سماع هذا الحديث فيستأذنه فيخرج فيعانقه، أوَّل شيء يطلبه منه أن يسمع منه

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٠)، ومسلم برقم (١٩٥٤).

هذا الحديث، فإذا سمع منه هذا الحديث لوىٰ عُنُقَ راحلتِه وعاد إلىٰ المدينة! هذا حصل لجابر بن عبد الله وأبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أبو أيُّوب رحل إلىٰ مصر [(١)]، وجابر رحل إلىٰ الشام إلىٰ عبد الله ابن أُنَيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [(٢)]، هذا انطلاقًا

---

(١) رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١٠/ ٢٢٨ - حبيب الرحمن)، ورواه أحمد (٤/ ١٥٣) والحميدي في "مسنده" برقم (٣٨٤) ومن طريقه الحاكم في "معرفة علوم الحديث" (ص٤٠)، والخطيب البغدادي في "الرحلة في طلب الحديث" (١١٨/ ٣٤) من طريق ابن جريج قال: سمعت أبا سعيد الأعمىٰ يحدث عن عطاء بن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب إلىٰ عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ...، وذكر القصة.

ورواه أحمد في "المسند" (٤/ ١٥٩) عن ابن جريج بسند منقطع.

وانظر: "الرحلة" للخطيب (٣٥) و(٣٦) و(٣٧) و(٣٨).

(٢) ذكره البخاري في "صحيحه" تعليقًا (١/ ١٧٤- "فتح الباري") فقال: [باب الخروج في طلب العلم] ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلىٰ عبد الله بن أُنيس في حديث واحد. ووصله في "الأدب المفرد" برقم (٩٧٠)، وذكره في "خلق أفعال العباد" (ص ١٣١) معلقًا و(ص ١٩٣) موصولًا، ورواه أحمد في "المسند" (٣/ ٤٩٥)، وابن أبي =

منهم من مكانة السنة في صدورهم، وإكرامٌ وإعزازٌ وإجلالٌ لسُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واليوم قد يسمع الرجل بالدرس أو المحاضرة، فيقول: موضوع تافه، وهذه الرِّحلة رحلة ضياع! بعض النَّاس يسمع قصَّة جابر وأبي أيوب فيقول: كيف يشدُّ الرحال لهذه المسألة لماذا؟! يشدُّ الرِّحال مسافة شهر يُضيِّع وقتَه ليسمع هذا الحديث! وتجده بين كتب السنة؛ المكتبات مليئةٌ بكتب السُنَّة، وقد يكون عنده مكتبة وتمرُّ عليه الأَيَّام المتتالية والسِّنين الطوال ولا يحفظ حديثًا أو حديثين! وقد يمرُّ عليه العمر الطويل لا يمرُّ علىٰ "البخاري" أو "مسلم" ويشتغل بكلام الناس المليء بالأفكار

= عاصم في "السنة – ظلال الجنة" (١/ ٢٢٦، رقم ٥١٤)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٧٥) برقم (٣٦٣٨) و(٤/ ٦١٨) برقم (٨٧١٥)، وقال: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٧٨ – ٧٩) من طريق الحاكم، والخطيب البغدادي في "الرحلة في طلب الحديث" برقم (٣١).

الفاسدة والنظريات الهدَّامة، ويراها أنَّها الحق! ويرىٰ أنَّها تَقَدُّم! والاشتغال بالسُنَّة رجعيَّةٌ وتَخَلُّف! لأنَّنا في عصر التطور! إذا اشتغلت بقال الله وقال الرسول ﷺ اعتبروا ذلك دروشة! بهذا المنظار ينظر بعض من النَّاس إلىٰ سُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلا يرون التقدُّم والرُّقَي إلا في المصارعة علىٰ السِّياسة، ومنافسة الحكام! وأمَّا العناية بالسنة والرجوع إلىٰ معين السلف فهذا هو تخلُّف ورجعية ودروشة! لكن الصحابة ما كانوا ينظرون هكذا، ولا الأئمَّة السابقون ما كانوا ينظرون هذا المنظار إلىٰ سُنَّة رسول الله عليه والسلام، بل كان الرجل منهم يرىٰ حديثًا واحدًا خيرًا من الدنيا وما عليها، كان الحديث الواحد من أحاديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندهم خيرًا من الدنيا وما عليها[(١)]،

---

(١) قال أبو عبد الله الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المستدرك" (١/ ١٧٧): قال إمام أئمة الحديث شعبة في حديث عبدالله بن عطاء عن عقبة بن عامر لما طلبه بالبصرة والكوفة والمدينة ومكة، ثم عاد الحديث إلىٰ=

وكان الإنسان إذا حفظ البقرة وآل عمران يسود في الناس[(١)]، والآن يحفظ القرآن كلَّه ما يساوي أيَّ وزن أبدًا، طبعًا طالب العلم يجب أن يطلب العلم لله، ويقرأ القرآن لله، لا ليسود، ولا ليرتفع، ولا ليشار إليه بالبنان، وكذلك يقرأ سُنَّةَ رسول الله وعلومَها لا لأجل هذا، فإن طلبها لهذه الأغراض هو الهلاك والعياذ بالله، ولكن يطلبها لوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أما السؤدد فيحصُلُ ثمرةً من ثمار هذا الإقبال علىٰ العلم النبوي وعلىٰ الوحيين كتاب الله وسنة الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[(٢)]، هذه السُنَّة أشاد بها القرآن وبيَّن منزلتَها؛

= شهر بن حوشب فتركه، ثم قال شعبة: لأن يصح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من والدي وولدي والناس أجمعين.

(١) رواه أحمد في "مسنده" (٣/ ٢٢٢).

(٢) أخرج مسلم في "صحيحه" برقم (٨١٧) عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**».

قال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال لي رجل من أهل سجستان=

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

ففَقِه الصحابة مثلَ هذه الآية، وأدركوا قيمةَ سُنَّة رسول الله ومنزلة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأدركوا أنَّ كلامه حقٌّ؛ وأن التسليم له تسليم لأمر الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]،

= ممن كان يحسدني: ماذا كنت أنت لولا العلم؟! فقلت: أردت شينًا فصار زينًا! سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت أبا معاوية يقول: قال الأعمش: لولا العلم لكنت بقالًا من بقاليِّ الكوفة، وأنا لولا العلم لكنت بزَّازًا من بزازيِّ سجستان. رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٨/ ٣٦٤).

فعرفوا بهذا منزلة الرسول ومنزلة سُنَّته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكانت لها هذه المكانة التي لا يفوقها إلا القرآن، بل في ميدان العمل والتطبيق وفي ميادين الاحتجاج والاستدلال في كثيرٍ من الأحيان يحتجون بالسُنَّة قبل القرآن؛ لأنَّ الآن الناس عندهم نظرية: أنَّه إذا جاءت قضية يُبدأ أوَّل ما يُبدَأ البحثُ في القرآن، فإن لم يجد في القرآن يشرع في البحث في السُنَّة، لكن هذا واقعُ الصحابة يُبيِّن غير هذا، فالصحابي إذا سئل عن مسألة أو واجه مشكلة الذي يتبادر في ذهنه من القرآن أو السُنَّة يقوله، إن تبادر نصٌّ قرآنيٌّ آية في الموضوع استدل بها واحتج بها، سبق إلىٰ ذهنه حديثٌ قبل القرآن احتج بالحديث، ويرىٰ أنَّ فيه الكفاية، وأنَّ به تقوم الحُجَّة الدَّامغة، وأنا أضرب مثلين الآن: لما استُخلف أبوبكر وارتدَّ العرب؛ استعدَّ أبو بكر لقتال المرتدين، وهناك من المرتدين من منع الزكاة ولم يرفض الإسلام؛ إنما منعوا الزكاة، فاستعدَّ أبو بكر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتال هؤلاء الذين منعوا الزكاة، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتقاتلهم يا أبا بكر، وقد قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؛ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ»** [(١)]، الشاهد أن هذا المعنىٰ الذي اختلفوا فيه أي قتال مانعي الزكاة موجودٌ في القرآن؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

والذي تبادر إلىٰ ذهن عمر هذا الحديث، ولم يقل: أنا أريد الاحتجاج بالقرآن أولًا، جئني بالأدلة من القرآن أولًا، وبعد ذلك احتج بالسُنَّة! ما قال هذا، احتج عمرُ وأقرَّه أبو بكر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٤) و(٧٢٨٥)، ومسلم برقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأقرَّه الصحابة، وإن كان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ له وِجْهَة نظر أخرىٰ؛ أنَّه لابُدَّ من قتالهم؛ قال: «**والله، لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة**»، لكن الشاهد أنَّ هذا المضمون وهذه القضية التي يُحتج لها من السُنَّة موجودة أدلتها في القرآن، فتبادر إلىٰ ذهن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حديث الرسول الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فاحتج به.

والواقعة الثانية: عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا جاءه يحي ابنُ يَعْمُر وحُمَيْد بنُ عبدالرحمن الحمْيَري جاءاه من العراق، فوجدا عبد الله بنَ عمر بن الخطاب خارجًا من المسجد، وعندهم مشكلة؛ أنَّ قومًا نبغوا في العراق يتقفرون العلم: أي يطلبونه، ويجتهدون في تحصيله، وعندهم اهتمام بالعلم، لكنَّهم لما لم يأخذوا العلم من معادنه؛ لم يأخذوه من الصحابة من فقهاء الأُمَّة ضَلُّوا في قضية القَدَر، فقالوا: لا قدر والأمر أُنُف، يعني أنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لا يعلم وما كتب في كتابه في

اللَّوح المحفوظ عن الإنسان وشقائه وعمله شيئًا قبل أن يعمل، يعني أنَّ العبد يرتكب الخطيئة واللهُ ليس له بها علم ولا يعلمها إلا بعد أن تقع! واللهُ ما كتب هذا العمل في اللَّوح المحفوظ، ولا كان الله يعلمه! قالوا بهذه العقيدة الخبيثة، فأُخبِر عبدُ الله بنُ عمر بهؤلاء، ماذا قال لهم وهو يعلم ما في القرآن من الآيات في القدر: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

آيات القدر موجودة في القرآن الكريم، لكن عبد الله بن عمر تبادر إلىٰ ذهنه حديثُ جبريل حينما جاء للنبيِّ ﷺ

وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وسأله عن القدر، قال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُـؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وقال عبد الله بن عمر: أأخبرهم أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.[(١)]

فالشاهد من هذا: أنَّ عبدَ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قضية أصولية من أصول الدِّين ومن قضايا العقيدة، بماذا احتج؟ احتج فيه بالسُنَّة، لو حضرته الآيات وتبادرت إلىٰ ذهنه قبل الحديث ربَّما احتج بالآية، لكن احتج بالحديث؛ لأنَّه هو الذي تبادر إلىٰ ذهنه، ويرىٰ أنَّ في ذلك الغُنية، وفي ذلك الكفاية، والحُجَّة الدامغة، فهذه منزلة السُنَّة عند أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك كان لها المنزلة العظيمة عند التابعين

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

بإحسان، وأتباعهم إلىٰ نهاية القرون المُفَضَّلة، واستمرَّ هذا إن شاء الله عليه كثيرٌ من الأُمَّة إلىٰ يومنا هذا يعرفون قدر السُنَّة، ولكنَّ كثيرًا من الفِرَق الضَّالة وأصحاب الأهواء والمتشاغلين بأمر الدنيا لا يدركون هذه المكانة لسُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أنا بدأت بالحديث عن مكانة السنة؛ لأنَّ الذين دعوني للمحاضرة طلبوا مني أن ألقي شيئًا من الأضواء علىٰ مكانة سُنَّة رسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والحديث فيها يطول، وسُنَّة رسول الله ﷺ حَرِيٌّ أن يُكتب فيها المؤلَّفات وفي الإشادة بمكانتها، وأعتقد أن عدم تبيين وتوضيح مكانة السُنَّة لكثيرٍ من النَّاس هو الذي أوجد هذا الفُتُور وهذا الزهد في سُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بالإضافة إلىٰ ما يشيعه أهل البدع والضَّلال من الحطِّ من مكانة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن الغمز واللمز لمن يتمسك بشيءٍ منها ويُطبِّقها، ويرون أنَّ

تطبيق بعض الأشياء التي كانت أمورًا معروفة عادية عند سلفنا الصالح لا تُلفت النظر ولا تقلق أحدًا؛ صارت اليوم تقُضّ مضاجع كثيرٍ من النَّاس؛ لأن كثيرًا من النَّاس الآن يُقلقه جِدًّا، وترىٰ تذمُّره في الكتب وفي الخطب، وتسمع صِياحه، حتىٰ من بعض الإذاعات من تطبيق السُنَّة! لأَنَّهم لا يعرفون مكانة سُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكثيرٌ منهم قد يُكِنُّ لها البغضاء مع الأسف الشديد؛ لأنَّه أُشيع وكثر الحديث أنَّ أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، وأنَّها لا يُحتج بها في باب العقائد، بينما أنت ترىٰ أئمَّة الإسلام يحتجون بالسُنَّة في إثبات العقائد، والصحابة كما رأيتم يحتجُّون بالسُنَّة في باب العقائد.

وأئمَّة الحديث إلىٰ يومنا هذا -ولله الحمد- يحتجُّون بالسُنَّة في باب العقائد، ويرون أنَّ الحُجَّة تقوم بها.

بل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يكتب كتابًا إلىٰ

كسرىٰ وإلىٰ هرقـــل[(١)] ....

---

(١) قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيحه" [كتاب أخبار الآحاد - باب مَا كَانَ يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الأُمَرَاءِ وَالرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ قَيْصَرَ. ثم روىٰ بسنده برقم (٧٢٦٤) عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ مَعَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ. قال الزهري: فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ.

وحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي علَّقه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وصله في مواضع من "صحيحه" منها برقم (٢٩٤٠ و٢٩٤١)، ومسلم برقم (١٧٧٣) وفيه: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَىٰ قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ لِيَدْفَعَهُ إِلَىٰ قَيْصَرَ. قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُرِئَ فَإِذَا فِيهِ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ**=

وإلىٰ غيره[(١)]، وتقوم بذلك الحُجَّة، وله الحق إذا رفضوا الإسلام أن يقاتلهم بناءً علىٰ هدي السُنَّة وهي كتابة رسول الله ﷺ إلىٰ هؤلاء الكافرين الذين دعاهم إلىٰ الإسلام، فإن استجابوا صاروا مسلمين، وإن لم يستجيبوا فَحُقَّ للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقاتلهم، هذه لمحة عن مكانة السُنَّة.

من مظاهر الغلو:

١- الغلوُّ في الأشخاص:

نأتي إلىٰ الغلوِّ، لقد أعطيت لمحة عما حصل في عهد

= مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾.

وانظر: "الرسالة" للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٠١ – ٤١٩) فما بعدها.

(١) روىٰ مسلم برقم (١٧٧٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ وَإِلَىٰ قَيْصَرَ وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَإِلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ.

الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعن علاجه لما رآه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وشاهده من بعضهم من التشدد في العبادة، ومن تجاوز الحدِّ عن المقدار الذي يشرعه الله والمقدار الذي كان يلتزمه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونأتي إلىٰ الغلوِّ في الأشخاص؛ الغلوُّ في الأشخاص يخالف السُنَّة -والمقصود بالسنة هنا المنهج الإسلامي -، فلا تغْلُ في شخص أبدًا، حتىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يجوز الغلوُّ في شخصه الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو سَيِّدُ ولد آدم وخاتم الأنبياء وأفضل خلق الله لا يجوز أن تغلو فيه، وقد نهانا عن ذلك؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه**»، رواه البخاري ومسلم.[1]

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٥)، ورواه برقم (٦٨٣٠) ضمن حديث مطولًا، والحديث بطوله عند مسلم برقم (١٦٩١)، إلا محل الشاهد منه. من رواية ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فإذا غلا الشخص في شخص عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو في شخص محمَّدٍ؛ فإنَّ هذا الغلوَّ إمَّا يخرجه عن دائرة الإسلام كما حصل للغلاة في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإما أن يجعله من أشدِّ المبتدعين في نظر الإسلام، فعيسىٰ غلا فيه النصارىٰ وقالوا: إنَّه ابن الله، أو قالوا: إنَّه هو الله، أو قالوا: إنه ثالث ثلاثة؛ وحكىٰ الله عنهم هذه الأقوال في القرآن: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] كفروا تمامًا، أحبُّوه، وأحبُّوه، فأطرَوا في الحُبِّ وبالغوا في الحُبِّ، حتىٰ قالوا: إنَّه الله؛ لأنَّ الحب يدفع إلىٰ هذا الغلوِّ، فيدفع إلىٰ الشرك، ويدفع إلىٰ الكفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والله قد دمغهم بالكفر بالله؛ لأنَّهم قالوا في هذا النبيِّ الكريم: إنَّه ابن الله، أو: إنه ثالث ثلاثة، ونهاهم عن

الغلوِّ وبيَّن القول الحق في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء:١٧١] هذا هو عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، عيسىٰ هو رسول الله، وهو بشر وأمُّه مريم، وعيسىٰ كلمة؛ قال الله: كن فكان، يعني كان بالكلمة؛ هذا هو عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، نقول: إنَّه رسولٌ ومن أولي العزم، وبلَّغ رسالتَه، وأدَّىٰ أمانتَه صلوات الله وسلامُه عليه، فإذا تجاوزنا هذا الحدَّ وقعنا في الغلوِّ، وجرَّ ذلك إلىٰ الكفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وشخص الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجب أن نُحِبَّه أكثر من أنفسنا وأبنائنا وأموالنا والنَّاس أجمعين؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ**

أَجْمِعين»[(١)]، لا تكون كاملَ الإيمان إلا إذا أحببته فتجاوز حبَّه حدود حُبَّ الولد والمال والأهل، فإذا تعارض عندك في قضية حُبُّ الولد وحُبُّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ تُقَدِّم حُبَّ الرسول علىٰ حُبِّ الولد، وكذا المال طلب منك رسول الله أن تبذله في سبيل الله ثم تنازعك نفسُك وينازعك حُبُّ المال، فتُقدِّم حُبَّ الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا برهان الحُبِّ لرسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن تُقدِّم ما يُحُبه الرسول علىٰ ما تُحبُّه نفسُك وعلىٰ ما ترغبه نفسُك؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هذا وعيدٌ وتهديدٌ من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، الحبُّ الشرعي الذي شرعه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من تقديم الرسول علىٰ النَّفس والمال والولد والتضحية بكلِّ هذه المحبوبات في سبيل الله إن تَطَلَّبَ ذلك شرعُ الله عَزَّوَجَلَّ؛ هذا هو الحبُّ المطلوب، لكن حبٌّ يجعلك تقول:

يا أكرم الخلق مالي مـن ألـوذ بـه ... سواك عند حلول الحادث العمم

فإن مـن جـودك الـدنيا وضـرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلـم

هذا واللهِ أخبث من قول النصارىٰ في عيسىٰ؛ لأنَّه جعله أعظم من الله، جعل الرسول ﷺ أعظم من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، جعل الدنيا وضَرَّتَها وهي الآخرة من جود الرسول، بل من بعض جود الرسول! الدنيا والآخرة لله قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]، الدنيا كلُّها والآخرة كلُّها لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، كلُّ هذه الأشياء هي بعض جود الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!

عنده السَّموات والأرض والعرش والكرسي والأرضين والجنَّة والملائكة والنَّار والشياطين كلُّها بعض جوده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ!! ومن علومه علم اللوح والقلم!! والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَجَّل عِلْمَه -وهو مقادير الخلائق إلىٰ يوم القيامة- في اللَّوح المحفوظ، كلُّ ما هو كائن ويكون مكتوب في اللَّوح المحفوظ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس:١٢]، أما هذا فقد جعل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أعلم من الله، والكون هو بعض جود الرسول! الكون الذي خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجعله هذا الشاعر بعض جود الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ! الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ**»لماذا يقول هذا الكلام؟ لأَنَّه سمع شيئًا مثل قول بعضهم: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ**

الشَّيْطَانُ؛ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ».(١)

واللهِ، هو سيِّدٌ وسيِّدُ النَّاس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما أخبر بذلك: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْر**»(٢)، يسمع مثل هذا الكلام فيقول: «**لَا تُطْرُونِي؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه**» فلو وقف هذا الشاعر أمام الرسول وقال:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" (٣/ ١٩٦، برقم ٤٨٢٥) عن يحيىٰ بن سعيد قال: كنا عند علي بن الحسين، فجاء قوم من الكوفيين، فقال علي: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام؛ سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيُّها الناس، لا ترفعوني فوق قدري؛ فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا**»، فذكرته لسعيد ابن المسيب فقال: وبعد ما اتخذه نبيًّا.

قال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: «وهو كما قالا». الصحيحة برقم (٢٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢)، ومسلم برقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فإن من جودك الدنيا وضـرتها ومـن علومـك علـم اللـوح

الرسول يَتَقَبَّل هذا؟ واللهِ يقول له: أنت مرتد، ارجع إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، تُب وإلا السَّيف، هذا كفرٌ بواح والعياذ بالله! هذا الكفر يُرَدِّدُه كثيرٌ من النَّاس وأنَّ قائله شاعر وأشعر شعراء الرسول الكريم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أمدح من مدح رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، قرأتم شعر حَسَّان بن ثابت؟ سمعتم فيه شيئًا من هذا؟ هل سمع أحدٌ من شعر كعب بن مالك وحسَّان بن ثابت وشعراء الرسول وشعراء التابعين وأتباع التابعين شيئًا من هذا الغلوِّ؟ إلا في القرون المظلمة التي غلا فيها النَّاس غُلُوًّا شديدًا، في الوقت الذي ضيع كثير من الناس العقائد الإسلامية.

هذا الشعر ما قاله إلا بعد أن جهل العقيدة، وجهل القرآن، وجهل السُنَّة، وجهل التوحيد؛ التوحيد توحيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وأنَّ الله ليس له نِدٌّ، ولا نظيرٌ، ولا شبيه، فكيف تجعل الرسول

أعظم من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!! وتجد بعض الناس يغلو في نفسه ويدَّعي الألوهية لنفسه.

قال أحد الضلال:

وكنت عين وجود القدس في أزل يسبح الكـون تـسبيحًا لإجلالـي

هذه قالها شاعر صوفي[1]، غلا في نفسه ومَجَّدَها، وادَّعىٰ الألوهية مثل قول واحد منهم[2]: ما في الجُبَّة إلا الله، وهذا يقول من هذا المنطلق:

وكنت عين وجود القدس في أزل يسبح الكـون تـسبيحًا لإجلالـي

يعني: كنت الله في أَزَلٍ، كنت أنا الله؛ أي عين ذات الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) وهو الحسن الميرغني. وهو الحسن الميرغني. انظر كتاب "براءة الشريعة الإسلامية من ضلالات أبي الحسن الديمقراطية والمنهجية" للمؤلف (ص: ٨٨).

(٢) تنسب إلىٰ أبي يزيد البسطامي، انظر: "مجموع الفتاوىٰ" لشيخ الإسلام (١٣/ ١٩٩)، و"مدارج السالكين" لابن القيم (١/ ١٥٥).

فالعرش والفرش والأكوان أجمعها الكل في سعتي مستهلك بالي
وكل فضل سما للكون مرتفعًا فإنما هو من مَنِّي وإفضالي

يقول: الكون في يدي مثل الذَرَّة، لما كان يسمع أنَّ الكون في يد الله مثل الخردلة قال الكون في يدي مثل الخردلة! أين الله؟ إذًا صار هو الله! هذا الرجل غلا في نفسه ولعله يدخل الحمام كلَّ يوم مرَّات يبول ويتغوَّط ثم يدَّعي الألوهية! تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، هذا يتلقَّفُه كثيرٌ من النَّاس مؤمنين بأنَّ هذا وليٌّ من أولياء الله العظام! وإذا مات شادوا عليه قبابًا كبيرة، وشدُّوا إليه الرِّحال، وطافوا به، واستغاثوا به، وقدَّموا له القرابين إلىٰ آخر ما يحصل من هؤلاء الذين: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان سيِّدَ المتواضعين

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا سمع من يقول له: أنت سيِّدُنا وابنُ سيِّدنا لا يقبل، إذا أقبل علىٰ مجلسٍ من مجالس أصحابه لا يرضىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقوم له أحدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يقول أنس: (ما كان أحد أحبَّ إلىٰ أصحاب رسول الله من رسول الله، ولكن إذا جاء لا يقومون له؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك)[(١)]، حتىٰ إنَّه مرَّة في صلاة صلَّىٰ جالسًا وصلَّىٰ النَّاسُ وراءه قيامًا وهم يعلمون ونحن نعلم أنَّ القيام ركنٌ من أركان الصلاة للقادر؛ القادر إذا كان يقدر أن يصلي قائمًا ثم صلىٰ جالسًا فصلاته باطلة، فإذا كان عاجزًا وجلس لا يُكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، وفي الحديث: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»[(٢)]، فالرسول

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٢، ١٣٤، ١٥١، ٢٥٠)، والترمذي برقم (٢٧٥٤)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٩٤٦).

(٢) رواه البخاري برقم (١١١٧)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ظرف من الظروف كان به مرض؛ فإنه سقط عن فَرَسِه فَجُحشت رجله، فاضطُرَّ أن يصلي جالسًا صلوات الله وسلامه عليه، فصلَّىٰ القوم وراءه قيامًا، قال الراوي: فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا فقَعَدْنَا، فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فلمَّا سلَّم قال: «**إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَىٰ مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ، فَلَا تَفْعَلُوا؛ ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ، إِنْ صَلَّىٰ قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّىٰ قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا**»[(١)] صلوات الله وسلامه عليه، من تواضعه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يرىٰ لتحقيق توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والبعد عن الغلوِّ في شخصه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يرىٰ أن يسقط ركنٌ من أركان الصلاة؛ لأنَّ درء المفاسد مُقَدَّمٌ علىٰ جلب المصالح، فإذا كانت الصلاة أربع ركعات كان فرض القيام أربع مرات، فيرىٰ أن تسقط هذه الأركان تحقيقًا لتوحيد الله وتعظيمِ الله

---

(١) رواه مسلم برقم (٤١٣)، من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وإجلالِه ولو كنت تصلِّي خلف سيِّد الخلق، يتواضع الرسول لهيبة الله وعظمته، ويأمر النَّاس أن يُصَلُّوا جلوسًا خلفه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والمسألة فيها خلاف؛ لما جاء أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخر حياته أَمَّ الناس وهم قيام وهو ﷺ يصلي بهم وهو جالس وأبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يبلِّغ الناس.

من ضلالات الصوفية ما تقرأه في تراجم أناس يعظمونهم كتبوا فيهم؛ يرىٰ أنَّ أمامه آلهة، ما أمامه بشر، وما أمامه ناس صالحين، أمامه آلهة يتصرَّفون في الكون، ويعلمون الغيب، هذا غلوٌّ يُخرج عن دائرة الإسلام لمَّا يعتقد في الإنسان أنَّه يعلم الغيب ويتصرَّف في الكون؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾

[الأنعام: ٥٩]، قلت: يدعون هؤلاء الأشخاص وهم بشرٌ مساكين، لعل أحدهم لا يدري ما في بطنه، ولا يعرف شيئًا، ولا يعرف ما تحت قدميه، هذه عائشة أم المؤمنين تقول لمسروق: ثلاث من حَدَّثَك بهنَّ فقد أَعْظَمَ علىٰ الله الفرية، من زعم أَنَّ مُحَمَّدًا رأىٰ رَبَّهُ فقد أعظم علىٰ الله الفرية؛ لأنَّ الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، عائشة تؤمن برؤية الله في الآخرة، لكن احتجت بالآية علىٰ عدم رؤية رسول الله ﷺ لربِّه في الدنيا، ومن زعم أنَّ مُحَمَّدًا يعلم ما في غَدٍ فقد أعظم علىٰ الله الفرية؛ لأنَّ الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

بل الله يقول للرسول ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٥٠]، لماذا يأمره: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ

إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] الله يُكَلِّفُه ويُبَلِّغُه، مُسَجَّل في المصحف الكريم، وحفظه النَّاس، وردَّدُوه في صلواتهم وفي مساجدهم، وآمنوا به واعتقدوه، اعتقدوا أنَّ صفة علم الغيب من صفات الله ربِّ هذا الكون وسيِّد هذا الكون، ولكن لما زحف الضَّلال وتسرَّب الضَّلال عن طريق المجوس واليهود والنصارىٰ وأعداء الإسلام تحت أقنعة وستارات متعددة؛ هذا صوفي، وهذا يُحِبُّ آلَ البيت شيعي، وهذا وليٌّ من أولياء الله، وهذا من العُبَّاد؛ كيدًا للإسلام، يلبسون لباس الإسلام ثم يَدُسُّون هذه العقائد الخبيثة: رسول الله ﷺ يعلم الغيب، وأهل البيت يعلمون الغيب، وأهل البيت معصومون، والأولياء فلان وفلان يعلمون الغيب، ويتصرَّفون في الكون، وفلان قطب، وفلان غوث، والقطب هو الذي يدبِّر أمر السَّموات والأرض، لا ينزل المطر إلا بإذنه، ولا يرقىٰ مَلَكٌ إلىٰ

العرش إلا عن طريقه، ويستطيع أن يولِّيَ ويعزل وهكذا.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فشاركوا الله أو زعموا مشاركة هذه الأشخاص لله في ربوبيته وفي ألوهيته تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، والنصارىٰ غلوا في عيسىٰ وادَّعَوا له الألوهية وأنَّه ابنُ الله، وغلوا في الأحبار والرهبان في ميدان التشريع؛ كما في حديث عَدِيٍّ بن حاتم «حينما دخل علىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يتلو هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال عَدِيٌّ: والله يا رسول الله ما نعبدهم. يعني: ما نركع لهم، ما نسجد لهم،

ما نخضع لهم، ما نستغيث بهم، ما ندعوهم من دون الله.

قال رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَلَيْسُوا يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**» قال: بَلَىٰ، قال: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[(١)]، هذا من الغلوِّ في الأشخاص، جعْلُ بشرٍ مُشَرِّعين من دون الله يقول لك: حلال في الحرام؛ تقول حلال، يقول لك في الحرام: حلال؛ تقول حلال، تطيعه لأَنَّه عالم أو حاكم، المهم أن الاتباع والطاعة في تشريع يخالف تشريعَ الله هو من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله كما في الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أرباب لماذا؟ لأَنَّهم حرَّموا الحلال الذي أحلَّه الله، الله يقول: حلال، وهم يقولون: حرام، الله يقول: حرام، وهم يقولون: حلال، من شبهاتهم

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٠٩٥)، والطبراني (١٧/ ٩٢، برقم ٢١٨) واللفظ له، من رواية عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.
وقال الترمذي: حسن غريب.

أنهم يقولون: واللهِ هؤلاء علماء مُقَدَّسون، ما يكذبون علىٰ الله، وهم أعرف بالدِّين منَّا؛ نسلِّم لقولهم ولا نعترض.

اعتقاد أن الحرام حلال، والحلال حرام، هذا كفرٌ، اتَّخذوهم أربابًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ ما دافعه؟ هو الغلوُّ! عدم وزن النَّاس وعباد الله بالموازين التي وضعها الله عَزَّوَجَلَّ، العبد عبدٌ لا يتجاوز نطاق العبودية أبدًا، لا يمكن أن يتجاوز؛ الأنبياء عباد الله، والملائكة عباد الله، ولا يمكن أن يتجاوزوا نطاق العبودية أبدًا؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]، فهذه الموازين ضاعت عند كثيرٍ من النَّاس بسبب الغلوِّ، الغلوُّ الآن قد يحصل في إنسان جاهل يدَّعي العلم فيقول الشيء والنَّاس وراءه، وراءه يغلون فيه، ويبالغون فيه، ويرفعونه فوق منزلته، الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ**

مَنْزِلَتِي»[1]، كيف ترفع ناسًا عاديين فوق المنزلة التي هم فيها، لو أنَّ إنسانًا هو طالب علم لا يجوز أن تقول له: حَبْرُ الأُمَّة وإمام المسلمين، ثم تنقاد لأحكامه الباطلة لا يجوز؛ لأنَّ هذا من الغلوِّ الذي ينطبق علىٰ فاعليه ما ينطبق علىٰ بني إسرائيل اليهود والنصارىٰ؛ الذين قال الله في شأنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" (٣/ ١٩٦، برقم ٤٨٢٥) عن يحيىٰ بن سعيد قال: كنا عند علي بن الحسين، فجاء قوم من الكوفيين، فقال علي: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام؛ سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيُّها الناس، لا ترفعوني فوق قدري؛ فإن الله اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًّا**»، فذكرته لسعيد ابن المسيب فقال: وبعد ما اتخذه نبيًّا.

لقد غلا الشيعة في أهل البيت واعتقدوا فيهم العصمة، واعتقدوا فيهم حقَّ التشريع، وقدَّموا تشريعهم، يمكن يكذِّبون الأخبار التي تبلغهم عن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا يكذِّبون أخبار هؤلاء! وكذلك حصل غُلُوٌّ في أئمَّة التصوف، حصل غلوٌّ في أئمَّة الفقه، وهؤلاء الأئمَّة حاربوا التقليد أشدَّ الحرب؛ يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط)[1]، وهو من أشدِّ النَّاس نُصحًا للأُمَّة، وأشدِّهم

---

(١) "صفة الفتوىٰ" لابن حمدان (ص٣٧)، و"مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام" (٢٠/ ٢١١)، و"تاريخ الذهبي" (١٤/ ٣٢١)، و"إعلام الموقعين" لابن القيم (٢/ ٢٨٢) و(٤/ ٢٣٣).

ورَوىٰ الهروي في "ذم الكلام" (٣/ ١٦، برقم ٣٨٨) والخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" برقم (٤٠٠)، والبيهقي في "المدخل إلىٰ السنن" برقم (١٨٦) ومن طريقه أبو شامة في "المؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول – مختصره" (ص٤٦ – ٤٧): عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله؛ فقولوا بسنة رسول الله، ودعوا ما قلت.

وانظر الآثار عنه في هذا الباب: "ذم الكلام" (٣/ ١٢ – ٣٤)، و"الفقيه=

تمسُّكًا بسُنَّة رسول الله، وحِفْظًا وتأكيدًا علىٰ التمسك بها، وتقديمها علىٰ أقوال النَّاس جميعًا، حتىٰ إنَّه يقول: (أجمعت الأُمَّة أنَّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يتركها لقول أحد)[١]، إذا تبيَّنت لك سُنَّةُ رسول الله ﷺ لا يجوز أن تتركها لقول أحد؛ لا للصحابة، ولا للأئمَّة الأربعة، ولا لأي أحد كائنا من كان، كلُّ الدينا لو وقفت تقول: لا، والرسول يقول: نعم؛ تقول: مع الرسول ﷺ نعم، وإذا قال: لا، تقول: مع الرسول ﷺ لا، في وجه الدنيا كلِّها، هذا الذي يعرف منزلة الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، خيرُ الهدي هديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، لو وَقَفَتْ الدنيا تخالف حديثًا؛ فعليك به، عضَّ عليه بالنواجذ، حديث واحد ثبت عن الرسول

= والمتفقه» (٣٩٨، ٣٩٩)، و«المدخل» الآثار برقم: (١٨٥ - ١٩٠)، و«المؤمل - المختصر» ص: (٥٧ - ٦٠)، و«صفة صلاة النبيِّ ﷺ» للألباني (ص ٥٠ - ٥٢).

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/ ٢٨٢)، و«الروح» (ص٢٦٤)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٥) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خالفك فيه النَّاس؛ خذ بحديث رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ودع النَّاس جانبًا، هذا إذا كان عندك فقه وعندك من فقه هذا الحديث، فإنه قد يفهم بعض الناس حديثا خطأً وجهلًا فيخرج بمفهومٍ خلاف ما فهمه السَّلف الصالح؛ هذا غلط، ما نريد أن ينصب كل واحد نفسه مجتهدًا فيظهر لنا بمفاهيم ما فهمها السَّلف، بل تخالف ما فهمه السَّلف وما فقهه السَّلف الصالح، لا، نريد فقهًا يؤيِّد ويترسم خطىٰ السلف الصالح من الصحابة والتابعين في العقائد، وفي العبادات وفي غيرها، ولو كان عندك قليل من الصحابة وأخذ به الصحابة وترجَّح لك فَخُذْ به، ولا يجوز لك أن تخالفهم: «أجمعت الأُمَّة أنَّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يتركها لقول أحد»، هذه لمحة عن تقديس الأشخاص والغلوِّ فيهم.

٢- الغلوُّ في العقائد:

يأتي الغلوُّ في العقائد، ومنه الغلوُّ في أسماء الله وصفاته، بعض الناس يغلو في تنزيه الله، فيؤدِّي به التنزيه والغلو فيه إلىٰ أن يُعَطِّل أسماءَ وصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُنَزِّه الله عن الاستواء علىٰ العرش، فيردُّ آلافَ مئات النصوص؛ هذا غُلُوٌّ في التنزيه أدَّىٰ إلىٰ هدم كثيرٍ من النُّصوص، وأدَّىٰ إلىٰ مخالفة الكتاب في نصوصه الكثيرة، وأدَّىٰ إلىٰ مخالفة السُنَّة في نصوص كثيرة، هذا غلوٌّ في تنزيه الله، نزِّه الله باعتدال، إذ لابدَّ من تنزيه الله كما جاء في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] نعم لا يساويه شيءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، لكن إذا غلوت فأدَّىٰ بك الغلوُّ إلىٰ أن تنكر استواء الله، وبعضهم يغلو فينكر علمه وقدرته وإرادته

وسمعه وبصره، وبعضهم يبالغ فينكر الأسماء والصفات، هذا غلوٌّ في التنزيه، ويقابلهم ناس يغالون في إثبات أسماء الله وصفاته، فيؤدِّي بهم هذا الغلوُّ إلىٰ التشبيه؛ إلىٰ تشبيه الله بمخلوقاته، تعالىٰ الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، الوسط أن تنهج نهج رسول الله وصحابته الكرام والسَّلف الصالح وأئمَّة الهدىٰ - رضوان الله عليهم - من إثبات أسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللائق به؛ من غير تشبيه ولا تعطيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، هذا هو الوسط، وهذا هو الاعتدال؛ أن تؤمن بما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وأن تصف الله بما وصف به نفسَه في كتابه وفي سُنَّة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا تشتطَّ في هذا الإثبات، فيخرجك إلىٰ التشبيه والتمثيل، ولا تشتطَّ أيضًا في التنزيه، فيفضي بك ذلك إلىٰ الغلوُّ إلىٰ إنكار صفات الله وتعطيلها، وقد قال السَّلف:

(إنَّ المُعَطِّل يعبد عدمًا، وإنَّ المُمَثِّل يعبد صنمًا)[(١)].

والاعتدال والوسط هو أن تثبت لله ما أثبته لنفسه، بدون غلوٍّ فيخرجك إلىٰ التشبيه، هذا هو الطريق الصحيح، الاعتدال هو ما عليه السَّلف الصالح، السَّلف الصالح كانوا دائمًا يترسَّمون الطريق الوسط، دائمًا يردُّون المتشابهات إلىٰ المحكمات متبعين طريق الراسخين كما وصفهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، فأهل الفتن دائمًا ينحرفون في فهم

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ" (٥/ ١٩٦)، و"درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٢٨٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية، مقدمة "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" (١/ ٢٨ - بشرح ابن عيسىٰ)، و"الصواعق المرسلة" (١/ ١٤٨) لابن القيم.

النصوص، ويضربون بعضها ببعض، فإنسان يتمسك مثلًا بنصوص الوعيد التي تتوعد قاتل النَّفس بأنَّه في النَّار خالدًا مُخلَّدًا فيها، ويأتون إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، ويأتون إلىٰ نصّ الحديث: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ النَّهْبَةَ حِينَ يَنتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

يأتون إلىٰ مثل هذه النصوص فيَتَغَالَوْنَ فيها ويُكَفِّرُون بها المسلمين، تعامَوا عن النصوص الأخرىٰ التي تُبيِّن مراد الله من هذه النصوص، ولا ينظرون إلىٰ سُنَّة الرسول المبيِّن الذي أسند الله إليه بيان مثل هذه النصوص عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فَيَتَغَالَوْن: فيقولون إن مرتكب الكبيرة كافر، وإذا مات فهو في

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

النَّار، إن مات من غير توبة مُصِرًّا علىٰ هذا الذنب؛ فهو في النَّار خالدًا مخلَّدًا أبدًا! ويضربون النصوص الأخرىٰ الواردة في القرآن؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وما دل عليه من كون الزاني حدُّه الجلد، أرأيت لو كان مرتدًّا يكون حدُّه الجلد؟ إذا كان مرتدًّا حدُّه السيف إذا لم يتب وليس الجلد، الرسول ﷺ جلد ورجم الزاني وصلَّىٰ عليه، وقال في امرأةٍ قال فيها عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أتصلِّي عليها وقد زنت يا رسول الله؟ قال: «**قَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ**»(١) عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

حتىٰ لو لم يتب وأقيم عليه الحدُّ يُكَفِّرُ الله عنه هذه الخطايا، نقيم عليه الحد ونرجمه ونتبعه نصلِّي عليه، حتىٰ لو

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٩٥)، من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ما تاب نرجمه ونذهب نصلِّي عليه، وإذا كان بِكْرًا يُجلد ولا يُمنع من الصلاة مع المسلمين، مسلمٌ عليه أن يتوب والله يقبل التوبة، لكن تكفيره والقول بخلوده في النار يُعتبر غلوًّا، وطبعًا هذا نوع من أنواع الغلوُّ؛ أي التعلُّق بالوعيد.

يقابل هؤلاء طائفة أخرىٰ؛ تأخذ بمثل ظاهر قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(١)]، قالوا: لا حاجة إلىٰ العمل، لأَنَّه لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، إذا قال: لا إله إلا الله أو اعتقدها بقلبه يكفيه هذا؛ لحديث: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)]

(١) أخرجه مسدد في "مسنده" (١٧ – "إتحاف الخيرة المهرة")، وابن خزيمة في "التوحيد" (٢/ ٧٩٨)، وأبو يعلىٰ برقم (٣٨٩٩) وبرقم (٣٩٤١)، والطبراني في "الكبير" (٢٠/ ٤٩)، وابن منده في "الإيمان" برقم (٩٦ و٩٧)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١/ ٢٣٣ – ٢٣٤) برقم (٤٤٥)، من حديث أنس بن مالك عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦)، من حديث عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

إذن يكفيه العلم، فأهدروا نصوص الوعيد، وأهدروا النصوص التي تأمر بالتكاليف الشرعية: الصلاة، والصيام، والزكاة، والجهاد، والوعيد على التقصير بالجهاد، والوعيد لمن يترك الصلاة؛ «**مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

كلُّ هذه الأشياء لا يبالون بها! لا يبالون بمثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أكل مال اليتيم: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا**﴾ [النساء:١٠] وتأكل مال اليتيم وتفعل كلَّ الجرائم ما يضرُّك؛ تزني، وتسرق؛ لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ كما لا ينفع

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦)، والنسائي برقم (٤٦٣)، والترمذي برقم (٢٦١) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه برقم (١٠٧٩)، وابن حبان (٤/ ٣٠٥/ ١٤٥٤)، والحاكم (١/ ٤٨/ ١١) -وصححه ووافقه الذهبي- من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**».

مع الكفر طاعة! هذا الغلوُّ والإفراط والتفريط، أهل السُنَّة يلتزمون الاعتدال ويمسكون بوسط الميزان لا يغلِّبون نصوص الوعيد ولا يميلون مع نصوص الوعد، بل يجمعون ويُوَفِّقُون بين النصوص؛ مثلًا يقولون في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣] هذا قد يكون عنىٰ به المستحلَّ فيكون كافرًا، إذ من استحلَّ قَتْلَ مسلمٍ يكون كافرًا، إذا استحلَّ شرب الخمر يكون كافرًا، إذا استحلَّ الزنا يكون كافرًا، إذا استحلَّ أدنىٰ الأشياء وهو حرام يكفر بهذا الاستحلال؛ لأنَّه أنكر تشريع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنكر حاكمية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيكون بذلك كافرًا، أمَّا وهو يؤمن بأنَّ شرع الله هو الحق، وأنَّ الحاكمية لله وحده، وليس لأحدٍ مع قول الله وقول الرسول رأيٌ، وارتكب ذنوبًا؛ فإنَّه يبقىٰ تحت مشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما دل عليه قول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

الشاهد: أنَّ أهل الغلوِّ في الوعيد مثل الخوارج كفَّرُوا الأُمَّة بالذنوب[(١)]، وحكموا عليها بالخلود، وأنكروا نصوص الشفاعة الواردة المتواترة[(٢)]، فهذا مصير الغلوِّ، وهذا مصير

---

(١) قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب "الإيمان" (ص٨٩) في ذكر مذاهب الناس إزاء نصوص الوعد والوعيد: مذهب الخوارج الذين مرقوا من الدين بالتأويل، فكفَّروا الناس بصغار الذنوب وكبارها، وقد علمت ما وصفهم رسول الله ﷺ من المروق، وما أذن فيهم من سفك دمائهم، ثم قد وجدنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يكذب مقالتهم؛ وذلك أنه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم علىٰ هؤلاء إلا القتل؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، أفلا ترىٰ أنهم لو كانوا كفارًا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد؟ وكذلك قول الله فيمن قتل مظلومًا: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، فلو كان القتل كفرًا؛ ما كان للولي عفو ولا أخذ دية، ولزمه القتل. وانظر: "الفتاوىٰ" لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧/ ٢٨٧ – ٢٨٨)، و"شرح الطحاوية" لابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٢١).

(٢) **انظر**: "مجموع الفتاوىٰ" (١٢/ ٤٨٠).

الإفراط والتفريط، قومٌ أهدروا أوامر الله وتكاليفه، وقالوا: يكفي لا إله إلا الله، وقوم تشدَّدوا وتمسَّكوا بنصوص الوعيد، وأدَّىٰ بهم هذا التشدد إلىٰ أن يُكَفِّرُوا المذنبين من المسلمين، والحقُّ هو الوسط، فلا إفراط ولا تفريط، الشاهد أنَّ جماعةً غَلَوا فذهبوا إلىٰ جانب، وجماعة آخرون ذهبوا إلىٰ الضِّفة الأخرىٰ، وأهل السُنَّة والجماعة وأهل الحقِّ وأهل الإيمان والعلم دائمًا في الوسط، ودائمًا في الصراط المستقيم الذي قال الله فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣- الغلوُّ في العبادة:

هذه اللمحة الأولىٰ عن الغلوِّ في الأشخاص وهذا الغلوُّ في الاعتقاد والغلو في العبادة ذكرناه سابقًا، وأنا أقول: الآن -والله أعلم- أنه مفقود، فإذا كان يوجد هناك من يغلو في العبادة ويقيم الليل ويصوم النهار؛ فعليه أن يتَّبع هدي النبيِّ

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي قال فيه حينما جاء ثلاثة نفر إلىٰ أبيات زوجات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسألوهن عن عمل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأخبرهم زوجات الرسول بعمله، فكأنهم تقالُّوه، فقالوا: هذا رسول الله، قد غفر الله له من ذنبه ما تقدَّم وما تأخر، فبلغ ذلك الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال لهم: أنتم قلتم كذا وكذا؟ فإن أحدهم قال: أمَّا أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء.

وفي رواية: قال أحدهم: أنا لا آكل اللحم[1]، فقال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنتم تقولون هذا؟ قالوا: نعم، قال: «أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[2]، فمن نهج هذا النهج

---

(١) في رواية مسلم.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٠١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الآن ممن لا نعرفه الآن؛ فعليه أن يهتدي بهدي الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويستنَّ بسُنَّتِه، ويعلم أنَّ لنفسه عليه حقًّا، ولزوجه عليه حقًّا، ولزوره يعني: زوَّاره عليه حقًّا، فليعط كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.(١)

هذه أمثلة يا إخوتاه، من الغلوِّ في العبادة، ومن الغلوِّ في الأشخاص، ومن الغلوِّ في المعتقدات، والمطلوب منا الاعتدال والتوسط، لا إفراط ولا تفريط.

٤- الغلوُّ في الجانب السياسي والتزهيد في دعوة التوحيد:

من مظاهر الغلو: الغلوُّ في السياسة؛ مثلًا تجد أناسًا يغلون في الجانب السياسي من الإسلام ويتغالون فيه، ويتساهلون في الأساسيات؛ وفي قواعد الإسلام، وفي أصل

(١) كما ثبت في البخاري برقم (٦١٣٦)، من حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أصوله؛ لأنَّ الانهماك في الجانب السياسي يجعلهم يتهاونون في الجوانب الأخرىٰ ويهملونها، ويفضي أحيانًا إلىٰ محاربة التوحيد، والتهاون في الشِّرك، والتوحيد هو أصل الإسلام ودعوة الأنبياء جميعًا من أوَّلِهم إلىٰ آخرِهم؛ بنصِّ القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢]، قوله تعالىٰ: وصىٰ بها؛ أي: ملَّة لا إله إلا الله، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

كان واللهِ شغل الأنبياء الشاغل هذا التوحيد الذي يعتبره السياسيون دروشة وهلوسة، هذا الكلام طعنٌ في منهج الأنبياء جميعًا، احتقار هذا الجانب من الإسلام قد يؤدِّي إلىٰ

الكفر بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، بل يؤدِّي فعلًا؛ إذا احتقره يكون كفرًا لا شكَّ، فلابُدَّ من الاهتمام بهذا الأصل الأصيل، فالاهتمام يكون بالإسلام كلِّه، لا تترك منه شيئًا، لكن لا تغلو في جانب، وتهدر الجوانب الأخرىٰ، الآن الغلوُّ في السياسة سيطر علىٰ عقول كثير من الشباب في مشارق الأرض ومغاربها، وكأنَّما الإسلام عندهم ليس إلا هذا، وكأنَّ الله ما بعث الأنبياء إلا بهذا فقط، إذا درست تأريخ الأنبياء في الكتاب وفي السُنَّة وفي كتب التأريخ وما تقرأه في التوراة وفي الإنجيل والزبور، في الكتب كلِّها تقرأه تجد أنَّ الأصل الأصيل والمحور الذي دارت عليه دعوة الأنبياء هو تحقيق معنىٰ لا إله إلا الله، وهدم القبور التي تُعبَد من دون الله، وهدم الأصنام؛ التي تعبد الآن، هذا مبدؤهم الأوَّل، ودعوتُهم الأولىٰ تَنْصَبُّ علىٰ هذا الأساس، فإذا طُهِّرَت الأرض من هذا الكفر والشِّرك لا تترك ذرَّة من الإسلام إلا وتدعو إليها، وتجاهد وتناضل في سبيله،

فلا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله، لا صلاة إلا لله، لا صوم إلا لله، لا خضوع القلب إلا لله، لا حُبَّ إلا لله، أما حبُّ الشيء لذاته فلا، بل يكون لله، الرسل والأنبياء تُحبُّهم تبعًا لمحبة الله، الحُبُّ الأصيل لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويأتي حُبُّ الأنبياء والكتب والرسل والملائكة والمؤمنين والصالحين تابعًا كلّه لمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا الذي يجهله يقول لك فلان: الناس كفار! لم؟ لأَنَّهم يطيعون الحاكم! الحاكم يحكم بقوانين وضعية كافرة، ويُخضِع النَّاس له مع بغضهم هذا الحاكم وبغض قوانينه، هؤلاء نكفِّرُهم؟ أبدًا؛ لأَنَّهم ما أحبُّوا هذا الكفر، هم يكرهونه ويبغضونه، فكثيرٌ من أهل الغلوِّ يُكفِّرُون هؤلاء النَّاس الذين خضعوا قهرًا لحاكم من الحكام، ليسوا راضين أبدًا، هم مقهورون، كيف تكفِّرهم ويتمنىٰ الخلاص من هذه الكوابيس، فالشاهد أنَّ العبادة هي الحب، حبٌّ مع خضوع، هذا الحب مع الخضوع يُصْرَف

للقبور لا يُصْرَف للحكام، يخضع طواعيةً ويُقدِّم بقرة أو يُقدِّم أبقارًا وأغنامًا ونقودًا وذهبًا وفضَّةً لهذا الميت؛ لأنَّه يعتقد فيه أنَّه يعلم الغيب، ويتصرَّف في الكون، وأنَّه ينقذ من الشدائد، وأنَّه يُلَبِّي الدَّعوات، يدعوه وهو في أعماق البحار والأمواج تتقاذف لينقذه وينسىٰ الله! هذا هو الشِّرك، أما إنسان يفرض قوانينه الظالمة عليك وأنت تخضع قهرًا؛ واللهِ ما عليك شيء، بل بغضك له عبادةٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ بغضك لقوانينه الظالمة قُرْبَىٰ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يا إخوتاه، الذي يتكلَّم في هذه القضايا التوحيد والشرك ويقول مثل هذا الكلام ما يعجب الكثير من النَّاس! يعجبهم أن تُكَفِّر النَّاس لأنَّهم خضعوا لهؤلاء الحكام، لا يُكفِّرونهم لأنَّهم يذبحون لغير الله، وينذرون لغير الله، ويستغيثون بغير الله، ويشركون بالله الشِّرك الأكبر، هذا الشيء عندهم ليس بشرك، ولا يستحق الكلام، ولا يستحق التفكير فيه أبدًا، التفكير في غير هذا؛ فكِّر

كيف تصارع الحاكم، وكيف تناوش الحكام؛ هذا هو العظمة! وهذه هي الرجولة! تحت شعار: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

الشاهد: أنَّ ما يجري الآن في السَّاحات الإسلامية غُلُوٌّ شديد جدًّا يرافقه إهمال لأصول الإسلام، أنا أقول غير مرَّة: باللهِ لما تجد حاكما يحكم بالقوانين ثم يثور عليه الشعب فيجبروه أن يلغي هذه القوانين، ويطبِّق الشريعة في الجانب السياسي؛ يعني: قَطْعُ يد السَّارق، ورَجْمُ الزاني، والحدود الإسلامية التي يتخيلها هؤلاء، لكن بقي في قلبه يعتقد أنَّ البدوي يعلم الغيب، ويتصرَّف في الكون، ويذبح له، وينذر له، ويطوف بقبره، هذا والشعب وراءه يطوفون معه بالقبور،

---

(١) إشارة إلىٰ حديث النبيِّ ﷺ عند مسلم برقم (٤٩)، من رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويتمسَّحون بها، ويتبرَّكون بها، ويستغيثون، ويقدِّمون القرابين، هل يصيرون بهذا مسلمين وتكون دولة إسلامية يرضىٰ الله عنها وتكون حاكميةُ الله قد نُفِّذت؟ أنا أريد أن أتكلم عن الحاكمية، حاكمية الله شاملة لكلِّ ما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلابُدَّ أن يأتي هذا التحكيم في العقيدة قبل كلِّ شيء، يخضع الحاكم والمحكوم للعقيدة التي جاء بها محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا خضع للجوانب السياسية من الإسلام ولم يخضع في جانب العقيدة؛ فهل نفذ حاكمية الله، إذا بقي علىٰ دعاء غير الله والذبح لغير الله والنذر للقبور والطواف بها وشدِّ الرِّحال إليها؛ فهو مشرك، ولو صار أعدل النَّاس في الجانب السياسي، لو وَحَّدَ الله في هذا الجانب، وخرج من الشِّرك كلِّه، وحكم بغير ما أنزل الله هَوًىٰ فقط، ويؤمن أنَّ الحاكمية لله عَزَّوَجَلَّ، لكن غلب عليه هواه فحكم في بعض القضايا بما يقتضيه هذا الهوىٰ وهو يؤمن بأنَّ

الحاكمية لله وأنَّه ظالم في هذا الحكم؛ لا يجوز تكفيره، إلا إذا أنكر حاكمية الله، وقال: الآن قطع يد السَّارق وحشيَّةٌ ورجعيَّةٌ وتخلُّفٌ، في القرن العشرين نقطع يد السارق! وفي القرن العشرين نرجم الزاني!. هذا كافرٌ خرج من ملَّة الإسلام.

الشاهد: أنَّه لابد من الإيمان أنَّ الله وحده هو الحَكَمُ الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأوَّل شيءٍ يدخل في نطاق الحاكمية هو توحيد الله والخروج من الشِّرك به؛ الشِّرك في العبادة هو الشرك الذي جاء جميع الأنبياء لمحاربته، الشِّرك الذي قال فيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦] الشِّرك الذي يقول الله فيه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي

مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

هذا الشِّرك هو عبادة اللاَّت والعُزَّىٰ أو البدوي أو الرفاعي أو الزيلعي أو عبد القادر أو غيرهم أن يخضع قلبك له، وأن تُحِبَّه حُبَّ التأليه، وأن تعتقد فيه أنَّه يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه إلا الله، هذا هو الشِّرك الذي تعنيه هذه الآية، الآيات تعني هذا الشِّرك الذي حاربه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والذي يُعتَبر حربه الآن دروشة وسذاجة عند كثيرٍ من النَّاس! وحينما نُسَمِّي هذا الشِّرك سذاجة؛ هذا واللهِ طعنٌ في جهود الأنبياء جميعًا، وإنَّهم أفنوا حياتهم علىٰ مدار التأريخ في محاربة شيءٍ ساذج، هذا يُقلِّل من مكانة دعوة الأنبياء، وأنا أقول هذا تنبيها لكم؛ لأنَّ هذا يتردَّد في كتابات معاصرين ليس لهم همٌّ إلا الاهتمام بالجانب السياسي والشِّرك السياسي، أمَّا هذا الشِّرك الأكبر؛ فلا يعرفون أنَّه شركٌ أكبر، ولا يعترفون بأنه شركٌ أكبر، ولا

يعترفون أنَّه يستحقُّ شيئًا من الجهد أبدًا، هذا ظلمٌ للإسلام ظلم عظيم! وتشويه خطيرٌ للإسلام! وإن كان هؤلاء المساكين ما يقصدون به الإسلام، لكن هذا فقههم؛ لأنَّ تعلُّقَهم بالسياسة أعمىٰ بصائرهم، وجعلهم لا يفهمون فقه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في أصل أصول الرِّسالات جميعًا لا يفهمونها.

فأنا أُنَبِّهُ الشباب: الحاكمية لله في كلِّ نواحي الحياة، فلا تحصر هذه الحاكمية في جانب ضيِّق، وفي زاوية من زوايا الإسلام، وتنسىٰ الإسلام الفسيح، وتنسىٰ جذور الإسلام، وأصول الإسلام، وتسدل عليها السِّتار، وترىٰ فِرقًا من الأُمَّة تتخبط في ظلمات الشِّرك، وتقول لهم: أنتم مسلمون.. أمتي.. أمتي.. مسلمون.. مسلمون.. فقط، نتعاون ونتعاون ونصارع الحكام فقط، هذا الغلوُّ أدَّىٰ إلىٰ أن نتجاهل أعظم دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل دعوة الأنبياء

نفسها؛ كلُّ الأنبياء ما جاؤوا إلا لهذا؛ كلُّ الأنبياء ما بعثهم إلا لهدم الأصنام وتطهير الأرض منها، وما عداه تبع له.

والرسول ﷺ يقول: «بُعِثْتُ لِهَدْمِ الأَوْثَانِ»(١)، وكان يُرسِل لهدم القبور ولهدم الأوثان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ أرسل جريرًا لإحراق ذي الخَلَصَة في اليمن(٢)، وأرسل عليًّا كان

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٣٢) بمعناه، عن عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: قال: فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللَّهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**» الحديث.

(٢) أخرج البخاري برقم (٤٣٥٥ و٤٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٦)، من حديث قيس بن أبي حازم قال: قال لي جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْـخَلَصَةِ؟**» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّىٰ الْكَعْبَةَ الْيَمَانِيَةَ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَىٰ الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**». فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ=

يرسله مرَّات لهدم القبور[(١)]، كان يبعث الرسل لهدم الأصنام ولهدم القبور عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي يشيدها كثيرٌ من النَّاس، والتي أقول أنا في نفسي: هذه القبور يمكن أن بعض النَّاس يسهل عليهم هدم الكعبة ولا يسهل عليهم هدم القبر، وهذا هو الشِّرك الأكبر، ويمكن أن لا يقوىٰ الحاكم علىٰ أن يهدم قبرًا؛ مما يُبيِّن لكم أنَّ هذا هو الشِّرك العظيم؛ الذي من وقع فيه فكأنَّما خرَّ من السَّماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، تجد بعض القباب تُكَلِّف ملايين، وقد تجد بعضها مزخرفة بالذهب، وبعض المقابر تُبنىٰ بالملايين، هذه هي العبودية، فأوَّل ما يتبادر مفهوم الشِّرك إلىٰ هذا الشِّرك، فالغلوُّ في السياسة صرف كثيرًا من الناس عن

= مَا جِئْتُكَ حَتَّىٰ تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ. قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ.

(١) أخرج مسلم برقم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي ابن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «**أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالًا إِلاَّ طَمَسْتَهُ، وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ**».

معرفة الشِّرك الحقيقي، واللهِ هذا الشِّرك يحتاج إلىٰ جهود من الدعاة؛ تسعة وتسعين من الجهود في تصحيح العقيدة، وبقية الجهود للنواحي الأخرىٰ من الإسلام؛ لأَنَّه لا إسلام إلا بتطهير القلوب من هذا الشِّرك، واللهِ لو أقاموا دُوَلًا في الجانب السياسي وآمنوا بالجانب السياسي مائة بالمائة، وطبَّقوا هذه الجوانب، وبقوا علىٰ جهل في توحيد الله الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويتخبطون في ظلمات الشِّرك ما نفعهم ذلك الشيء أبدًا، لا يغني عنهم شيئًا، والذي يمتعه الله بالتوحيد ويخلِّصه من الشِّرك لو عاش في ظلِّ دولةٍ كافرةٍ وهو يؤمن بالله ويكره هذا الكفر واللهِ سيدخل الجَنَّة؛ لأَنَّه حَّقق توحيد الله الذي جاء به الأنبياء، هذا الكلام لا يُعجب كثيرًا من النَّاس، لكن هذا هو الحق، وهذه هي الحقيقة، والذي ينازع في هذا؛ فنجيبه بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

واللهِ، لو تصرف كلَّ جهودك وتُرَبِّي الشباب علىٰ تجاهل

دعوة الأنبياء ما نفعتَ الأُمَّة، بل أنت تدمِّرها بهذه الدعوة؛ لأَنَّك تُعرِّضها لدخول جهنم والخلود فيها، لست بناصح للأُمَّة إذا كنت تسكت على هذا الشيء، إذا كنت تحوِّل الجهود التي يجب أن تُبذَل في هذا الميدان لميدان آخر ولو كان من الإسلام؛ لأَنَّك تضع الشيءَ في غير محلِّه، والحكمة أن تضع الأشياء في مواضعها، ولحكمة الأنبياء كلِّهم بدؤوا بهذا الذي ندعو إليه، الأنبياء الحكماء العظماء أولو العزم ما كان يقلقهم ويقضُّ مضاجعهم إلا هذا الشِّرك؛ تقديس الأصنام والقبور هذا الذي كان يقضُّ مضاجع الأنبياء، واللهُ يكلِّفهم أن يتحملوا كلَّ البلايا، و«**أشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[(١)]، وكلُّ ما ابتلوا به لتطهير الأرض من هذا

---

(١) كما في الحديث عند أحمد (١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٥)، والترمذي برقم (٢٣٩٨). وابن ماجه برقم (٤٠٢٣)، وابن حبان برقم (٢٩٠٠) و(٢٩٠١) و(٢٩٢٠) و(٢٩٢١)، والحاكم (١/ ٩٩ - ١٠٠، برقم ١٢٠ و١٢١)، وغيرهم، من حديث سعد=

الشِّرك، الشِّرك الذي يهدم أصل الإسلام، كان جهادهم لتطهير الأرض من هذا الشِّرك الذي لا إسلام إلا إذا كان موجودًا ولو يوجد منه أقل شيء، فعلينا أن نغرس هذه العقيدة في نفوس المسلمين الذين جهلوا هذا وضَلُّوا فيه، ومما زادهم ضلالًا أن يقال لهم: أنتم مسلمون ولا غبار عليكم، فقط ما بقي الشِّرك عندنا إلا في القوانين! هذا واللهِ من كتمان الحق الذي يلعن الله كاتميه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، كيف تكتم أصل أصول الإسلام؟ وكيف تكتم رسالات الأنبياء جميعًا؟ هذا واللهِ عند كثير من الدعوات الموجودة الآن؛ الذي يعيش على الخرافات والبدع

= ابن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: (حسن صحيح)، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والحديث في "الصحيحة" للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٤٣).

والضَّلالات والمنامات، والذي يعيش علىٰ سياسة الخوارج والروافض، واللهِ حتىٰ السياسة الإسلامية ما عرفوها، ولا يُحَكِّمُون الله ورسولَه فيها، حتىٰ حاكمية هذا الجانب السياسي لا يعرفون فيه أو لا يقرِّرون أو لا يدعون إلىٰ ما قرَّره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتىٰ هذا الشيء الذي يعتنون به ويُكَفِّرون النَّاس من أجله لا يعدلون فيه، ولا يُحَكِّمُون الله فيه، ولا يُحَكِّمُون رسول الله فيه، ولو حَكَّمُوا الله ورسولَه؛ لبدؤوا من حيث بدأ الأنبياء، وساروا في النواحي السياسية علىٰ منهجهم، قد يكون الحاكم مسلمًا عنده أخطاء يكفِّرونه! وتقرأ عليهم النصوص في هذا الجانب فلا يرفعون بها رأسًا أبدًا، يكون الحاكم مسلمًا ويكفِّرونه، تقول لهم: تعالوا نحتكم إلىٰ الله؛ هل هذا كافر أو غير كافر، لا يسمعون! فالأهواء جامحة والعياذ بالله! والتربية منحرفة جدًّا، الحمد لله؛ يوجد حكام مسلمون، كيف نكفِّرهم؟

فاسمعوا ماذا يقول الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ؛ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(١)، والرسول ﷺ يقول: «**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ يَهْدُونَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**» فيُسأل: كيف أفعل يا رسول الله؟ قال: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(٢)، هذه النصوص عندهم عارٌ أن تُذكَر، ومِنَ العيب، والذي يذكرها عميل! كان السَّلف الصالح الذين يطبِّقون هذه النصوص ما شهدناهم عملاء، يا خوارج، يا روافض، اتَّقوا الله في الأُمَّة، وحَكِّموا الله حتىٰ في هذا الجانب،

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم برقم (١٨٥٥)، من حديث عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم برقم (١٨٤٧)، من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وحَكِّمُوا الله في الإسلام كلِّه، اتقوا الله في شباب الأُمَّة، وبَصِّرُوهم بالحقِّ، وقولوا كلمة الحقِّ مهما كان، ولا تخشوا في الله لومة لائم، الآن الكثير من النَّاس واللهِ ما يقدر أن يقرِّر هذه القضايا، ونحن واللهِ نغامر؛ لأنَّ هؤلاء صاروا أظلم من الحكام؛ لأنَّ عندهم إرهابًا فكريًّا واللهِ أخطر من السيوف والمدافع والرِّماح؛ الذي يقرر هذه الحقيقة ويقرر القضايا الإسلامية كما أرادها الله وكما شرعها الله يصبح عميلًا وجاسوسًا.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهديهم، وأن يُبَصِّرهم بالحقِّ، وأن يخرجهم من هذه الدوَّامة والحيرة التي جانبوا فيها الحقَّ، وجهلوا فيها الحق، وحاربوا فيها الحق، الأهواء والوصول إلىٰ سدة الحكم تدفعهم والله إلىٰ الكذب والمغالطة، وإضلال أنفسهم وإضلال الناس، والتجاهل والتعامي عن النصوص الشرعية، فيرتكبون المخاطر

والأهوال، فيا إخوتاه! هذا بلد إسلامي وبلد مسلم؛ شرائع الإسلام فيه ظاهرة: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والعلم النبوي؛ أنوار النبوة تُدرَس عندنا في المدارس – ولله الحمد – «قال الله» «قال رسول الله»: في العقيدة، في العبادة، في كلِّ شيء، يقول بعض الناس: قضية تقرير التوحيد جدُّ سهلة! نقول: اذهب قرِّر التوحيد في إيران، قرره في ليبيا، قرره في مصر، قرره في أيِّ بلد؛ في الهند، في باكستان، اذهب قرر التوحيد؛ فسترىٰ السيوف وترىٰ المدافع أمامك، فعلينا أن نحمد الله علىٰ نعمة التوحيد والسنة والأمن، فالذي يجهل قيمة التوحيد ويحتقرها ما يرىٰ هذا شيئًا، الذي لا يعبأ بتوحيد الله ولا يبالي بالشِّرك يرىٰ أنَّ هذا ليس بشيء، هذا النوع من الدعاة دعاةٌ علىٰ أبواب جهنم من استجاب لهم قذفوه فيها، هؤلاء الذين يحاربون توحيد الله، ويحاربون أهل التوحيد، ويحكمون عليهم بالشرك، وفي نفس الوقت الشرك الأكبر

عندهم لا يهزُّ ضمائرهم، ونسأل الله العافية.

نسأل الله أن يُبَصِّر المسلمين، وأن يوفقهم للهدىٰ والسداد، وأن يجنبنا وإياهم الغلوَّ والإفراط والتفريط، وأن يهدينا جميعًا سواءَ السبيل، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❁❁❁




ميراث الأنبياء

فهرس الموضوعات

المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق

مكانة السنة

من صفات الأبرار والمقربين

الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة

مراتب الهداية مفاسد الكذب

التمسك بالكتاب والسنة

المخرج من الفتن

التحذير من الفتن

التقوى وآثارها

الاستقامة وأثرها على المسلمين

الكذب و آثاره السيئة

